حرة أن تفعل الأفعال نفسها وذلك حسب شروط ذلك الزمان وتقاليده.

لقد ظهرت تودد ساخرة في مجلس عام ومارست دوراً تمثيلياً ممسرحاً فيه عرض للجسد من حيث الشكل ومن حيث المضمون.

بدأت الأحداث بأن طلب السيد المالك مبلغاً كبيراً هو عشرة آلاف دينار كثمن لهذه الجارية، وهو مبلغ اقتضى السؤال والاستغراب عن سبب هذا الغلاء في السعر. ثم جاءت الأحداث بعد ذلك لتبرير هذا الثمن الرفيع، وكان ذلك يقتضي تقديم المرأة في معرض علني يكشف عن مزايا البضاعة وعن اختلافها عن موجودات السوق من الجواري والغلمان. كل هذا يحدث أمام رجال من الراسخين في تقييم البضائع البشرية، أو لنقل من النخاسين ذوي الخبرة، وهم من تمت تسميتهم في الرواية مجازاً بالراسخين في العلم.

وهذه الأحداث كلها لا يمكن أن تجري لو أن البطلة سيدة حرة، ولهذا فإن شخصية الجارية جاءت على أنها قناع بلاغي أو تورية، وتم توظيف قناع الجارية من أجل ابتكار أحداث الحكاية وإنتاج ما سميناه بالجسد المثقف، وهذا الوعي وعي عميق لوظيفة النص وفعل الحكي.

لقد كان مجتمع الحكاية يسمح أو يفرض صورة الجارية المثقفة[6]. وكانت الثقافة النسائية نوعاً من الرق، وتمثل قيمة شرائية إضافية تزيد من سعر الجارية، وتغري بتسويقها. ولذا كانت الثقافة

---

(6) انظر:

محسن جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي، ص 10 منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت 1986.

بنت الشاطىء: الشاعرة العربية المعاصرة ص ص 18-19 دار المعرفة، القاهرة 1965.

نبيلة إبراهيم: حكاية الجارية تودد ـ قراءة حضارية ـ مجلة فصول ـ المجلد الثامن العددان 2,1 مايو 1989.